شاعر الطبيعة (١)

للسيد عمر أبو ريشة

شاخص الطرف محدق فى الفضاء فوق طود عالى المناكب ناء
يرقب الفجر والندى مالئ بُرْ دَيْه والشعر مائج فى الهواء
شاعرٌ خافق الجوانح بالحب (م) بعيد عن عالم الضوضاء
تتراءى فى وجهه الهادئ الوا جم آى الوداعة الغرّاء
وبعينيه بارقٌ قذفته شعلة الروح مبهم اللألاء !
نهض الفجر مثقلاً يتلوّى فوق صدر الطبيعة الخرساء
يتخطّى الربى وئيداً ويهمى بشتيت الأظلال والأندا ء
وثبةٌ إثر وثبة ذائب الألـــوان فيها وجامد الأضواء
فارتدى الكون بردةً من جمال وتهادى بباسم النعماء
فاذا السفح باسمٌ تمرح القطـــعانُ فيه وترتعى بهناء
وإذا الطير بين كرّ وفر من غدير لروضة غناء
صورٌ أفرغت على أذن الشا عر نجوى علوية الإيحاء

* * *

هبط السهل والهجيرة تنقضّ (م) وتطوى مطارف الأفياء
وتصبُ الخول والسام الصاخـــب والصمتَ فى فم الغبراء
وتردّ الجمال منهتكَ الستر (م) سليب النعومة العصماء !
وتسلّ النشاط من قبضة الكو ن فيغفو على ذراع الفناء !
فصدور الحقول متعبةٌ تا هث فى غمرة من الإعياء !
ورءوس الأزهار مطرقة تنـ ـسلّ منها انتفاضة الكبرياء !
وقيان الغصون مَلْوِيّة الأعـــناقِ صرعى كآبة عمياء . . .
صورٌ أفرغت على أذن الشا عر نجوى علوية الإيحاء ! !

* * *

بلغ المنحنى . . فجاز مدى الطر ف بحسٍّ مفجّع الأنباء !
مأتمُ الشمس ضجّ فى كبد الأفـــق وأهوى بطعنة نجلاء
عصبت أرؤس الروابى الحزانى بعصاب من جامدات الدماء !
فأطلّت من خدرها غادة الليـــل وتاهت فى ميسة الخيلاء
وأكبّت تحلُ ذاك العصابَ (م) الأرجوانى باليد السمراء ! !
وذؤابات شعرها تترامى فى فسيح الآفاق والأجواء
وعيون السماء ترنو إليها من شقوق الملاءة السوداء ! !
فاذا الكون لجّةٌ من جلال فتّرتها أصابع الظلماء
يرسب الطرف فى مداها ويطفو ثم يرتد فاقد الإرتواء
فتطلُ الأشباح من كوّة الوهم (م) وتعوى مجنونة فى العراء
وتموج الأصداء من جهش الأر ض بأذن المهابة الصماء
وتحس الروح الوديعة بالرع شات تسرى كموجة الكهرباء !
صور أفرغت على اذن الشا عر نجوى علويّة الإيحاء ! !

* * *

هكذا استعرض الوجود مليًّا فى غضون الإصباح والإمساء
فى اختلاج البروق فى قهقها ت الرعد فى صاخب من الدأماء
فى ابتسام الرياض فى هدأة الجد ول فى نفحة الربى الفيحاء
فانثنى ضاربا على الوتر الشا دى اهازيج روحه الشماء !
فَضّ فيها عن الحياة نقابا من خداع وبرقعا من رياء !
ورمى ختم سرها فتجلت بعد لأى عريانة للرائى !
فتهادت بناتها باصطفاق الصـ ـنج والدف واتساق الغناء
كدُمى هيكل لقد نفض الله (م) عليها اختلاجة الأحياء ! !
يتمايلن راقصات تشاوى بدلال مفجر الإغراء !
فمن الخصر عطفة تركت فى حُلة النهد نفرة للعلاء
كل بنت جياشة الصدر ترمى أختها بابتسامة استهزاء
هذه فى يمينها مشعلُ الحب (م) قصير الأنفاس خافى السناء
هذه فى عيونها تصرخ الشهـ ـوة جوعا وتزدرى بالحياء
هذه فوق رأسها تشرق الحكـ ـمة فى شبه هالة وضاء !
هذه . . خلّ هذه ، ودع الأخـ ـرى فصعب إصابة الإحصاء
زمر من كواعب برزت فى صور العيش فى أتم جلاء . .
عزف الشاعر النبيغ فجسّت أكبدَ الراقصات كف العزاء
مسنداً رأسه على كتف القيـ ـثار مستسلماً إلى الأهواء
وإذا ماصحا على نفخة البو ق بأذنيه وازورار القضاء . .
خدرت كفه على الوتر الشا دى وسالت أصداؤه فى الفضاء
وتلاشت تلك الحسان تلاشى الـ ـشمع فى زفرة اللظى الحمراء
وهوى فوق مضجع من تراب تحت عطفى صفصافة غيناء ! !

حلب — عمر أبو ريشة

(١) من ديوان (شعر) الذي صدر حديثا